

(ورد.. في أدعية الهم والحزن)

الورد الثامن

في مواقف الكرب، حين يشتدّ الضيق.. يفيض الهدي النبوي بوصايا تحفظ على القلب سكينته، وتفتح له باب الفرج.

ومن أنفع ما يُروى في ذلك، ما جاء عن أسماء بنتِ عُميس رضي الله عنها قالت: قال لي رسولُ الله ﷺ: **(ألا أعلمك كلماتٍ تقولينهِنَّ عند الكرب - أو في الكرب - : اللهُ اللهُ ربي، لا أشرك به شيئاً)** [أخرجه أبو داود وصححه الألباني].

لقد كان النبي ﷺ يرَبِّي أصحابه على تقوى الله، وُحُسْن التوجّه إليه في جميع الأحوال، ويغرس فيهم أن الفرج لا يُطلب إلا من بابه، ولا يُرتجى إلا منه سبحانه، وفي هذا الحديث الجليل، يوجّه المكروب إذا نزل به الحزن وضاق صدره، أن يلهج لسانه وقلبه بتكرار **(اللهُ اللهُ)**، استلذاً بذكره، واستحضاراً لعظمته، وتوكيداً لوحْدانيته، فإنه الاسم الجامع لكل الأسماء الحسنى، والمستقر الذي تلتقي عنده معاني الجلال والجمال، ومفزع القلوب إذا حاق بها الكرب.

(ربي)، أي: سيّدي ومولاي، الذي أنشأني من العدم، وربّاني بنعمه الظاهرة والباطنة، وهَدَانِي لتوحيده وذكره، وهو المالك الحقيقي لشأني كلّ، المُصَرِّف لأُمري؛ دقيقه وجليله، سرّه وعلا نيته.

فقد جمع في ذكر هذين الاسمين -الله، ربي- أعظم الصفات الإلهية، وأكمل معاني الربوبية، ثم أفصح العبد بعدهما بالتوحيد الخالص فقال: **(لا أشرك به شيئاً)**، أي: لا أجعل له شريكاً في عبادتي، كائناً من كان، في قليل أو كثير، وفي أي نوع من أنواع الشرك، ظاهرًا كان أو خفيًا، في النيات والمقاصد أو في الأقوال والأفعال، وقد اشتملت هذه الجملة الموجزة على لبّ التوحيد بشقيه:

النفي: بنفي العبودية عن كل ما سوى الله.
والإثبات: بإفراد الله وحده بالعبادة، محبةً وخوفًا ورجاءً وخضوعًا، فهو المستحق وحده لكل ذلك دون سواه.

فالتوحيد هو أعظم مفزعٍ لتجلية الكروب، والنَّجاة من الشدائد، إذ القلب أساس الجوارح، إن صلح صلح الجسد، وإن فسد فسد الجسد كله، ولا كمال للقلب إلا في ذكره لخالقه وفطره وإلهه، فإذا غفل عن ذلك وتَبَتَّ عليه جيوش الهموم والغموم والأحزان، وبث الشيطان جنود الوسوس إليه من كل جهة، فإذا فرغ إلى الاستنصار بالتوحيد والإقرار بالألوهية لمولاه والعبودية لنفسه؛ هزم جيش عدوه وكسر الأحزان.

كما أن الكروب تَرِدُ على النفوس من آثار الذنوب، وأدران الشهوات، فإذا جُلِيَتْ بكلمة التوحيد مع الإخلاص، ونفي الشريك؛ غسلت تلك الأوساخ، وأذهبت تلك الكروب، وأنارت القلب.
(ورد.. في أدعية الهم والحزن)

إن التوحيد مَفْرَعٌ لجميع الخلق، فمن دعا ربه مخلصًا مَوَدَّدًا فإن الله ينجيه من كُرْبِ الدُّنْيَا وشدائِدِهَا حتى مع الأعداء، قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِّ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: 10] وأما أولياء الله فيُنَجِّيهم بالتوحيد من كُرْبَاتِ الدُّنْيَا والآخِرَةِ وشدائِدِهما، وهذه سُنَّةُ الله في عبادِهِ؛ فما دَفَعَتْ شدائدُ الدُّنْيَا بمثل التوحيد، ولذلك كان دعاءُ الكُرْبِ بالتوحيد، فلا يُلقَى في الكُرْبِ العظام إلا الشُّرْكُ، ولا يُنَجَّى منها إلا التوحيدُ؛ فهو مَفْرَعٌ لكل الخليقة وملاجئُها وحصنُها وغياثُها.